



دلالات قوله تعالى { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً {

استهل الإمام ابن عاشور - رحمه الله - تفسيره لهذه الآية { المال والبنون زينة الحياة الدنيا } ببيان أن إيرادها في السياق "أريد به الموعظة والعبرة للمؤمنين بأن ما فيه المشركون من النعمة من مال وبنين ما هو إلا زينة الحياة الدنيا التي علمتم أنها إلى زوال، كقوله تعالى { لَا يَعْزُبُ عَنْكَ تَكَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ... } وأن ما أعد الله للمؤمنين خير عند الله وخير أملاً، والاعتباط بالمال والبنين شنشنة معروفة في العرب، قال طرفة: فلو شاء ربي كنت قيس بن عاصم ... ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد فأصبحت ذا مال كثير وطاف بي ... بنون كرام سادة لمسود". ثم بين أن {الباقيات الصالحات} "صفتان جرتا على موصوف محذوف، أي الأعمال الصالحات الباقيات، أي التي لا زوال لها، أي لا زوال لخيرها، وهو ثوابها الخالد، فهي خير من زينة الحياة الدنيا التي هي غير باقية". وعن ترتيب الوصفين قال: "وكان مقتضى الظاهر في ترتيب الوصفين أن يقدم الصالحات على الباقيات؛ لأنها وإن كانا وصفين لموصوف محذوف إلا أن أعرفهما في وصفيته ذلك المحذوف هو الصالحات؛ لأنه قد شاع أن يقال: الأعمال الصالحات، ولا يقال الأعمال الباقيات، ولأن بقاءها مترتب على صلاحها، فلا جرم أن الصالحات وصف قام مقام الموصوف وأغنى عنه كثيراً في الكلام حتى صار لفظ الصالحات بمنزلة الاسم الدال على عمل خير، وذلك كثير في القرآن قال تعالى (وعملوا الصالحات)... "ثم بين لماذا خولف مقتضى الظاهر هنا، فقال: "فقدم (الباقيات) للتنبيه على أن ما ذكر قبله إنما كان مفضولاً؛ لأنه ليس بباقي، وهو (المال والبنون)، كقوله تعالى: { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ }، فكان هذا التقديم قاضياً لحق الإيجاز لإغناؤه عن كلام محذوف، تقديره: أن ذلك زائل أو ما هو بباقي، و**الباقيات من الصالحات** خير منه"، وتعمق في توضيح ذلك فقال: "فكان قوله (فَأَصْبَحَ هَسِيحًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ) مفيداً للزوال بطريقة التمثيل، وهو من دلالة التضامن، وكان قوله: (والباقيات) مفيداً زوال غيرها بطريقة الالتزام، فحصل دالتان غير مطابقتين، وهما أوقع في صناعة البلاغة، وحصل بثانيتها تأكيد لمفاد الأولى فجاء كلاماً مؤكداً موجزاً". ثم أشار إلى أن "نظير هذه الآية آية سورة مريم {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا}، فإنه وقع إثر قوله {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا، وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِثِيًّا...} ". وعن سر تقديم المال على البنين في الذكر، قال: "لأنه أسبق خطوراً لأذهان الناس؛ لأنه يرغب فيه الصغير والكبير والشاب والشيخ، ومن له من الأولاد ما قد كفاه...". وختم تفسيره للآية بقوله: "معنى {وَخَيْرٌ أَمْلاً} أن أمل الآمل في المال والبنين إنما يأمل حصول أمر مشكوك في حصوله ومقصود على مدته، وأما الآمل لثواب الأعمال الصالحة فهو يأمل حصول أمر موعود به من صادق الوعد، ويأمل شيئاً تحصل منه منفعة الدنيا ومنفعة الآخرة، كما قال تعالى {مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً} وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، فلا جرم كان قوله {وَخَيْرٌ أَمْلاً} بالتحقق والعموم تذيلاً لما قبله". إقرأ

أيضاً: **محبة النبي ﷺ لقد خلقنا الإنسان في كبد الرجال** قوامون على النساء أسرار ترتيب سور القرآن الكريم الصراط المستقيم .. نحو فهم أعمق لغائية الإسلام دعاء القنوت في صلاة الوتر الأرواح جنود مجندة